-١٣٩٥



صاحب الجلالة الملك يتحدث لمجلة جور دوفرانس

تحدث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في شهر يبراير بفاس للصحفي والكاتب الشهير السيد جاك شانسيل بحديث نشر في العدد الصادر يوم 14 مارس من مجلة (جور دوفرانس).

وفيما يلي نص الأسئلة التي طرحها الصحفي المذكور على جلالة الملك وأجوبة جلالته عليها :

سؤال ـــ ما هو موقفكم وما هي متطلبات المَلِك قُبيل عام 2000 وفي عالم متفجر ؟

جواب ـــ لا تختلف متطلبات عام 1987 عن متطلبات عام ألفين : تتعين حماية المملكة واستقرارها وعدم التخلي أبداً عما يتكون منه موضوع الرسالة، وهنا بمكتبي بفاس وأمامي بالضبط صومعة من القرن الثالث عشر : أمير مريني مدفون كان قد قتل أثناء معارك الأندلس، وتأتي اللقالق في كل موسم ترتاح هنا، وذلك دليل على الاستمرارية، وعندما أسمع رنة جرس كبير أنظر إلى هاته الصومعة وأقول لنفسي : «لقد رُؤي الكثير منها بحيث عليك أن تتصبر».

سؤال ـــ مَلِك، هل هذه مهنة ؟

جواب ـــ ليس نزوة ولا هواية، إنه في الواقع مهنة حقيقية.

سؤال ـــ أنتم سليل النبي وأمير المؤمنين، فلا ارث أثقل منه ولا مسؤولية روحية أعظم منه.

جواب ـــ.ما أثقله فعلا ! إن مثل هاته التركة يمكن أن يُؤدي إلى عدم الاستقرار بالداخل، ذلك عبء، فالانسان هو الانسان، فهو كما قال باسكال ليس ملاكاً ولا حيوانا، لكن الأسوأ ممكن : وهو أن من يريد أن يكون ملاكاً يصبح حيوانا... والصفة الأخيرة لا ينبغي أن تظهر كثيراً عند سليل النبوة... ولكنها موجودة، كائنة.

سؤال ـــ ست وعشرون سنة من الملك، وأنواع كثيرة من الذكريات، وأوقات سعيدة، مآس، اعتداءات، دقائق قليلة من الصفاء التام، ان فرنسا تحب بلدكم، فهل لاتزالون تحقدون عليها من أجل ما فعلته في وقت ما ضد أسرتكم ؟

جواب ـــ لقد حقدت على بعض الفرنسيين لكن لا على فرنسا بصفتها قطراً وشعباً، ابتداءً من سنة 1953 أضمرت الكراهية خلال سنتين ونصف من النفي، لسبب بسيط وهو أنه لم تكن بمدغشقر أية جامعة، ولم يكن يسمح لي بممارسة أية مهنة، وكنت ألتجىء إلى أبي لكي ينفحني المال الذي أشتري به السجائر، جميع الأبواب كانت موصدة في وجهي، كنت بطالا عمره 23 سنة عالة على أسرته.

سؤال ـــ في هذا الوقت بالذات لم تكونوا تتصورون أنكم ستصبحون ملكاً في يوم من الأيام، فأية مهنة أخرى عساكم كنتم قادرين على مزاولتها ؟

جواب ـــ كثيرا ما كنت أقول مازحاً : كان في الامكان أن أصبح محاميا.. كنت أرقص جيداً، وكان في إمكاني أن أغدو راقصا في الحفلات، لا تضحكوا، فلابد من البحث، وإذا افترضنا فإنما هو مجرد افتراض، كنت أحب الطبخ، وأحب الفرس أكثر منه، كان في إمكاني أن أصير أستاذاً للفروسية، بل ـــ وأكثر من ذلك ـــ كاتبا عموميا، كان في إمكاني أن أحترف الكتابة للغير بأي أسلوب كان.



سؤال ــ كان بإمكانكم كتابة مذكراتكم ؟

جواب ــ لا، فلو كانت لكانت جد قبيحة، لقد التقيت بعدد هائل من الشخصيات السياسية، ولدي الكثير من الكلام عن كل واحد منهم، كنت شاهداً لأحداث مهمة، وفي بعض الحالات كنت الشاهد الوحيد الحي، اني لأعلم الكثير، فإذا كتبت فلا أحب أن تنشر ذكرياتي.. فلربما بعد وفاتي.

سؤال ــ هل كنتم تدونون ؟

جواب ــ كان ذلك مأساة بيني وبين أبي، كان يقول لي : «ليس لك الحق في أن لا تسجل ولا تدون، لقد كنتَ الشاهد المحظوظ»، وهذا حق، كنت كثيراً ما أتكل على ذاكرتي، كان ذلك من الحلول السهلة.

سؤال ــ لكم ــ بصفتكم أميرا للمؤمنين ــ رسالة مثالية، ان إيمانكم بالدين لا يمكن أن يوضع موضع الشك.

جواب ــ الايمان نعمة وحالة نفسية تكتسب وتبذر، إن ديننا لشديد الانسانية والمرونة، وهو صارمٌ أيضا وكثير التسامح، لقد كنت دائما ضد التعصب كيفما كان، ولا ريب أني معجب بمدرسة الكاميكازيين النبيلة، انها تعصب رفيع، اني لمعجب بمن يتهجون بالدفاع عن بلدهم حتى الموت.

سؤال ــ من أجل لقائكم هنا في قصركم بفاس قطعت 250 كيلومتراً بالسيارة انطلاقا من الرباط، لقد اندهشت لنماء كل هاته الناحية.

جواب ــ لقد حبانا الله ببلد جد متنوع، ولقد أتحفنا بهدية رائعة عندما حرمنا من البترول، فلو وجدناه اليوم لكنا طبعا سعداء، ولكننا تعلمنا أن نعيش بشيء آخر غير الذهب الأسود، وهذا الشيء الآخر هو الفلاحة.

سؤال ــ هناك هذا النماء، وكذلك الاحترام التام للتقاليد من أجل تحقيق التوازن.

جواب ــ مثَل التقاليد مثَل النبات، لابد أن يسقى ويرعي ويزاوج بنباتات جديدة، لقد جددت الزروع كثيرا من ست وعشرين سنة، ولقد ازدانت حديقة تراثنا، مثال ذلك : منذ ربع قرن كان أغلب الشبان يتزوجون بلباس السموكينج والفساتين البيضاء الطويلة، وكان ذلك يُغيظني، ولما مات أبي قررت تزويج أخواتي فوراً حسب تقاليدنا، وأردت أن يَراهُنَّ الناس هكذا في التلفزة، واليوم لقد انبعثت العادة القديمة، فكل عروس تزف إلى زوجها دون لباس تقليدي لا يمكن أن تعتبر مغربية، ولما رفعنا شأن الجلابة والبلغة والشربيل أحيينا صناعتنا التقليدية كلها.

سؤال ــ انكم بلد تقاليد عتيقة، وانكم أيضا ملتقى جميع الحضارات ؟

جواب ــ حُكي لي هذا لما فتحت عيني على العالم، كنت مرنا فاختزنت ذاكرتي كل شيء، لم يكن عندي أي مشكل، كنت أيضا بالفعل قادراً على قطع دجاجتي بالشوكة والسكين وأكلها بأصابعي.. بعيداً عن عيني مربيتي التي لم تكن دائما راضية عن ذلك، كنت مستوعباً لمختلف أشكال الثقافة، ففي الصبا يتكون المرء.

سؤال ــ لقد سَلِمتم من اعتداءين، فهل لايزال الخوف يساوركم ؟

جواب ــ نعم، لاتُعرَّف الشجاعة بالنسبة للخوف، فالرجل الذي ليس له خوف هو أحمق ولا وعي له، وقد تعلمت أن أسيطر على خوفي.

سؤال ــ لقد تحدثنا كثيرا عن الصداقة، إنها كلمة لطيفة وكلمة قوية، إنها ضمانة لكن ثمة الوجه الآخر، الصورة القبيحة للمنصب : الخيانة.

جواب ــ الصداقة خطيرة، هناك خيانة القلب، وليس هناك خيانة العقل، لكن جميع الخيانات لا تَعْدِل شيئا بالنسبة لرسالتي ولعظمتها، إن ما عليك أن تفعله لا يتناسب مطلقاً مع ما عوملت به، ان السلطة كثيرا ما تكون عزلة.

سؤال ــ بأية عيون ترون فرنسا ؟

جواب ــ قانونيا إنها مخيبة لأملي، إن الخدمة العمومية هي العمل الأهم، وعندما يريد المجتمع شل حركة السلطة فإن شيئا ما ليس على ما يرام، إن بلداً مثل بلدكم لا حق له أن يؤدي للفوضى الثمن الترفي، لقد اخترعتم كل شيء، وتحاولون تطبيق كل شيء، لقد جربتم جميع السياسات الليبرالية والتوجيهية، ليس على هذا البلد أن يبحث عن نفسه، لقد خبَر الأمور من كافة أنواعها، وان تاريخه عظيم وجميل، وأرى أن قومكم لا يدفعون الناس دفعاً كافيا إلى العمل، عندكم كثير من الانتخابات، وكثير من الأوراق تدخل في صناديق الاقتراع، إن الفرنسي يعيش على أعصابه السياسية، إنه لقلق كل يوم.

سؤال ــ هل التساكن الفرنسي اليوم شبيه نوعا ما بصحبة ممتازة ؟

جواب الحاصل أن التساكن يناسب الفرنسي تناسباً جيداً، ان مواطنيكم يحبون الشجار والصياح وقول ما يريدون، ولكنهم يوم الأحد يجدون أنفسهم في المقهى، إنهم يلعبون بالكرات الحديدية، ويصطادون بالقصبة، ويتسلون مع خصومهم، الفرنسي إذن جيد المساكنة، ولهاته المساكنة مظهر جميل، هي أنيقة وسليمة ورفيعة المستوى، إنكم تطرحون على رؤوسكم الأفكار ممتزجة.

سؤال ــ كثير من المغاربة يعيشون ويعملون بفرنسا، وأطفالهم يولدون عندنا ويتحدثون بلغتنا، أفلا تخشون أن يتخلى جيلهم الثاني عن هويته ؟

جواب ــ هذا هي مشكلتي الأولى، سيكون هؤلاء الشبان من ذكور وإناث، ناخبين ومنتخَبين بعد بضع سنوات، وأنا حريص على أن لا يضيعوا خلاصة تقاليدنا، وأريد أن تكون ممارستهم للغتنا ممارسة طبيعية، ولأجله نحاول تأطير جالياتنا بالخارج أقصى تأطير، إن المغاربة ــ ولله الحمد ــ متشاركون تشاركا تاما مع بلدهم، متضامنون مع مشاكلنا، فهم يصدرون كافة ما يملكون، إنهم ــ كمثل الفيلة المسنة ــ يحبون أن يأتوا للموت في مقابرهم، فليس لهم من هدف سوى بناء دورهم هنا حجَرة حجَرة، فهم يعودون كل سنة إلى المغرب، ولكن ــ للأسف ــ ليس هناك توازن بين الحياة بليل أو ببوردو طيلة ثلاثمائة يوم والعيش ثلاثة أسابيع من الاستجمام بالرباط أو فاس أو مكناس، هذا هو مشكلتي الكبرى.. وكذلك رضاي، يمكننا أن نعتمد على مليون وخمسمئة ألف فرنسي من أصل مغربي، ويجوز لنا أن نؤمل شعورا بالذات غدا. إن البحث عن الهوية وعن التقاليد سيكون عما قريب جد قوي، فبعد جيل سيكون المغاربة الذين خلقوا وعاشوا بأوربا أكثر مغربية من

المغاربة أنفسهم، لأنهم سيأتون للبحث عن جذورهم.

سؤال ــ منذ بضع سنوات وخلال برنامج مع تلفزة فرانس أنطير أدنتم إدانة قاسية تساهل المتعاونين الفرنسيين، هل أتصور أن كل شيء أصبح على ما يرام ؟

جواب ــ بالعكس، لم يتغير أي شيء بل ازداد سوءا، إن ثانويات البعثة الفرنسية أصبحت معروفة من لدن الشرطة وآباء التلاميذ بأنها مكان توزيع ما يسمى بالمخدرات، إن الايديولوجيات لم تعد كافية، فالأساتذة يُضربون ويرفضون تصحيح الاختبارات ويجرون التلاميذ إلى عدم الدراسة، والأمور تسير متدهورة بحيث انه ــ خلال اجتماع اللجنة المختلطة المغربية الفرنسية المنعقد بباريس منذ بضعة أسابيع ــ قلت لوزيري في الشؤون الخارجية ولسفيري : «أطلعا الحكومة الفرنسية على أني أفضل أن تقفل البعثات أبوابها مادام الأمر على ما هو عليه»، ليست عندي صفة التعليم، فهي معدومة، ومن جهة أخرى تُحْمَل إليَّ ميكروبات أنا في غنى عنها، وأنتم على علم بالحب الذي أضمره للغتكم، لكن ليست لها نفس الأهمية، انها مهمَلة إهمالا غريبا حتى في فرنسا.

سؤال ــ لست بصدد أن أثير معكم هنا مشاكل سياسية هي ما تمارسه يوميا الصحافة العالمية، لكني اندهشت لأحد قراراتكم : لقد استقبلتم شمعون بيريز، فهل تتذوقون المخاطرة والاستفزاز ؟

جواب ــ بادىء ذي بدء ليست هناك أية مجازفة، كان اللقاء بريئا،فليس عنده ما يعطيني وليس عندي ما أعطيه، ليست لي أراض محتلة وليس له ما يرجعه لي، إني رجل واقعي، فليس لمجرد مذاكرة أن تمحو ثمانية وأربعين سنة من الحرب والتجاهل، لكني كنت أرى أنه لابد من وضع اسرائيل أمام مسؤولياتها.

إن حوافز الشبان الاسرائليين لم تعد الآن هي حوافزهم في الماضي، ولما التقيت شمعون بيريز تحدث لي عن الحالة الذهنية لجيل أولاده الذين لم يعودوا يعيشون مثله في المستوطنات، ومن ناحية أخرى فإن الاسرائليين الفلسطينيين العرب الذين يعيشون باسرائيل هم مواطنون اسرائيليون يتزوجون، ومنهم من يتخذ حتى أربع نسوة، فهم إذن ينجبون من الأطفال أكثر مما ينجب الآخرون، ولهم نفس الحقوق السياسية والدستورية، وقريبا ستتألف منهم أغلبية البلاد، وهناك عنصر آخر مهم : الأراضي المحتلة وضعية صعبة، كان أستاذي يقول لي : «يمكن أن نعمل كل شيء بالبنادق ماعدا أن نجلس عليها»، فهؤلاء السكان المحتلة أراضيهم ينجبون أيضا أطفالا، وتلك مجموعة من المشاكل الجديدة المنتظرة، هاته هي الأسباب الأساسية التي ستحملنا على البحث عن حلول.

سؤال ــ هل ستردون الزيارة لشمعون بيريز ؟ هل ستذهبون إلى اسرائيل مثل الرئيس أنور السادات ؟

جواب ــ لا في الوقت الراهن، وعندما تعيش اسرائيل في أمن مع جوارها فلماذا لا أزورها ؟ ومثلما يوجد مثلث بيرْمودة يوجد مثلث الديانات، فبين يدي اسرائيل سبب بقائها، فإذا أراد الشعب التصالح مع أقاربه فليس لأحد أن يقضي عليه، لكن ينبغي أن نعرف أن الاسرائيلي يتسلل هو لا يدخل ولكن يتسرب مثل الماء، وذات يوم تجد أن الماء غمرك من تحت الباب، فلو كنت من هذا الشعب لما أقفلت الأبواب ولطلبت ضمانة دولية لبقائي، وابتداءً من هذا فكل شيء قابل للتفاوض.

سؤال ــ لقد واجهتم موجة متدفقة وخطيرة من الأصوليين، ولقد سجلت بعض تصريحاتكم : «ليس في العالم من سبب يدعوني إلى نقل أي جندي من الصحراء التي يظل وجودها مقدسا، إلا واحد هو أن يحتل الهراطقة البقاع المقدسة، لا قدر الله...»

جواب ــ أؤكد ما قلته، إن الاسلام الحقيقي دين التسامح، فكل تعصب ليس من الاسلام في شيء، وليس لي إذن أن أقبله، إن الفكر الشيعي فكرة سياسية، ثم هناك مسألة توقيت، فأنتم، معشر النصارى، لكم حروبكم الدينية في القرن الخامس عشر، ولا ينبغي أن يعزب عن البال أننا في القرن الخامس عشر الهجري، فيجب أن نؤمن بأن هذا العدد 15 منبىء عن الغيب، هاته المعارك هي حروب دينية، وستنتهي.

إن الرجل الطيب هو الذي لا يؤذي غيره، وما من شك في أن المسلمين يحيطون اليوم بالكرة الأرضية، فهم ساكنون جغرافيا، وليس يهمني الكَمّ ولكن الكيف.

سؤال ــ ما هي صفة مَلِك ؟

جواب ــ... أو بالأحرى كيف ينبغي أن تكون صفاته ؟ أولاً عليه أن يكون مثل سائر الناس، فله نقط ضعفه ونقط قوته، فهو لم يخلق من خلية صنعها الله في أزله ثم وضعها في ثلاجة ريثما يحين وقت ولادته، فعليه أن يكون طيبا، وأكرر أنه لا ينبغي له أبداً أن يتخلى عن الأساسي : «حيث انه خادم الجميع فليس مِلْكاً لأحد»، وخلاف هذا يكون حكم الحُجَّاب والبطانة، فهو ليس مِلْكاً حتى لأسرته، فعليه أن يكون تام الحرية، فلا يمكنه أن يتورط في أدنى شيء، وعليه ــ كما على كل رئيس دولة ــ أن يكون قادراً على أن ينظر في عيون من يشاء ويقول له ــ عند الاقتضاء ــ الكلمة التي قالها الجنرال كامرون.

سؤال ــ الارث فظيع، والتقاليد جسيمة، والمسؤولية تكاد تكون فوق طاقة البشر، إن الارث يتطلب منكم كل شيء ؟

جواب ــ ربما كانت لعنةً من السماء أن أتربع على العرش عشر سنوات، لكن بعد خمسة وعشرين عاما يمكن أن نرى أن الله سخرنا لما فيه مصلحة الجميع، لي بلد ولي أسرة ولي حفيدة رائعة، وها أنا ذا جد.

سؤال ــ هل أنتم دائما رياضي ؟

جواب ــ لي أفراسي وأجمل ساعتي في الكولف.

سؤال ــ هل من عوائق ؟

جواب ــ ثمة أيام ألعب فيها أربعة، خمسة أشواط، ولكن عائقي الأكبر هو عندما يلتحق بي أحد وزرائي ويدس في يدي أوراقا بين ضربتين.

سؤال ــ هل من كلمة أخيرة ؟

جواب ــ أعظم رغبة حارة لي تختصر في كلمات قليلة : أتمنى أن يظل بلدكم على الدوام معلّماً للعالم.

السبت 13 رجب 1407 ــ 14 مارس 1987